

عَرْنَا بِطَبْعِنَا

اليوم الوطني السعودي
SAUDI NATIONAL DAY

وللأهل حنين وللغة مشاعر
للتراب ذاكرة

وبينهما دولة ينشأ عنها

الوطن

NOB.SA

NOB
MARKETING SOLUTIONS

#اليوم_الوطني_السعودي



أربعة أشياء اسمها وطن

في الخرائط، يبدو الوطن مساحةً تحدها خطوط، وفي كتب السياسة دولةٌ لها اسم وعلم وسيادة، وفي دفاتر العائلة وجوهًا وأسماء وذكريات، وفي اللسان كلماتٍ نعرف بها بعضنا ولو التقينا في آخر الأرض. لكن الوطن أكبر من أن تختصره خريطة، وأقرب من أن يحتويه تعريف. وفي **اليوم الوطني السعودي**، حين تتكرر الأعلام في الشوارع، وتكتسي المدن بالأخضر، ربما يكون السؤال مختلفًا هذه المرة:

مِمَّ يتكوّن الوطن؟

قد تكفي أربعة أشياء للإجابة:



التراب * الأهل * اللغة * الدولة



4 عناصر تبدو متباعدة لكنها
حين تجتمع تصنع كلمة واحدة:

السعودية.

التراب | الأرض التي بدأت منها الحكاية

قبل الدولة، كانت الأرض. كانت الصحراء بامتدادها الطويل، والجبال بقممها، والأودية بممراتها، والواحات بنخيلها، والبحران اللذان يفتحان للمكان نافذتين على العالم. على هذه الجغرافيا عاشت الحكاية السعودية قبل أن تحمل اسمها الحديث. من نجد وهضابها إلى جبال السروات، ومن رمال الربع الخالي إلى واحات الأحساء، ومن سواحل البحر الأحمر إلى الخليج العربي؛ ليست السعودية جغرافيا بلون واحد. لكل منطقة وجهها. في الجنوب مدرجات زراعية تتشبث بالجبال، وفي الشرق نخيل ومياه وخليج، وفي الغرب بحر وجبال ومدن حملت منذ قرون خطى القادمين إلى مكة والمدينة، وفي الشمال صحارى ونقوش تحكي عن عابرين سبقونا بمئات وآلاف السنين، وفي الوسط أرض انطلقت منها قصة الدولة.





الدرعية.. ذاكرة الأرض

ووسط هذه الجغرافيا تقف **الدرعية**؛ ليست مجرد مكان قديم بقي من الماضي، وإنما شاهد حجري على بداية حكاية سياسية امتدت قرونًا. فالتراب هنا ليس ذرات من الرمل فحسب.

إنه بيت الجد، ومزرعة الأب، والحي الذي كبر فيه الأبناء، والطريق الذي يعرفه المرء من دون أن يسأل عن اسمه، والجبل الذي يراه أهل المدينة جزءًا من ملامحها، والبحر الذي ارتبط بأرزاق أهل الساحل وذاكرتهم. ولهذا، حين نقول «أرض الوطن»، فنحن لا نصف ملكية جغرافية فقط، وإنما علاقة إنسان بمكان.

واليوم، فيما تمتد المدن وتولد المشروعات الجديدة وتُعاد صياغة أجزاء من الجغرافيا السعودية، تحضر الأرض مرة أخرى في معادلة المستقبل؛ في حماية البيئة، وزيادة الغطاء النباتي، والمحميات، وإحياء المواقع التاريخية، واستعادة العلاقة بين التنمية والمكان.

فالبلاد تستطيع أن تبني فوق أرضها كل يوم شيئًا جديدًا، لكنها تعرف أن بعض الأشياء لا ينبغي أن تضيع تحت المباني.





ذاكرة التراب

وفي اليوم الوطني، لا نحتفي بالأرض لأنها مساحة على الخريطة؛ بل لأنها المسرح الأول الذي جرت فوقه الحكاية. لكن الأرض، مهما اتسعت، تحتاج إلى شيء يجمع أطرافها. وهنا يبدأ العنصر الثاني.

الدولة | حين أصبح للتراب اسم واحد

كان التراب موجودًا منذ آلاف السنين، لكن لحظة الوطن الحديثة جاءت حين أصبح لهذه الجغرافيا اسم واحد، وراية واحدة، ودولة واحدة. في الخامس من شوال عام ١٣١٩هـ، الموافق ١٥ يناير ١٩٠٢م، دخل **الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود** الرياض، لتبدأ مرحلة جديدة من رحلة طويلة انتهت بتوحيد أجزاء البلاد.

لم تكن المسافات سهلة.

فالذي ننظر إليه اليوم على الخريطة كتلةً واحدة، كان في ذلك الزمن صحارى شاسعة، وطرقًا طويلة، ومجتمعات متباعدة، ومناطق تفصل بينها ظروف الجغرافيا وصعوبة التنقل. ومع توالي مراحل التوحيد، كانت الخريطة تتغير، حتى جاء عام ١٩٣٢م ليصدر الأمر الملكي بتوحيد البلاد وتسميتها المملكة العربية السعودية، ويصبح الثالث والعشرون من سبتمبر التاريخ الذي نستعيد عنده كل عام لحظة اكتمال الاسم. ومنذ ذلك اليوم، لم تعد قصة الدولة قصة حدود فقط. بدأت رحلة أخرى: **بناء ما داخل الحدود.**

نشأت المؤسسات، وشُقت الطرق، وانتشر التعليم، وتوسعت الخدمات الصحية، ووصلت الكهرباء والمياه وشبكات الاتصال، وتحولت مدن صغيرة إلى حواضر كبيرة، وربطت الطرق والمطارات أطراف البلاد التي كانت المسافة بينها يومًا رحلة شاقة. وتعاقت عهود ملوك المملكة، وفي كل مرحلة كانت الدولة تضيف طبقة جديدة إلى البناء. حتى وصلت السعودية إلى زمن لم يعد فيه الطموح محصورًا في توفير متطلبات التنمية، بل انتقل إلى إعادة تشكيل الاقتصاد والمدن ونمط الحياة وموقع المملكة في العالم.



مشروع بوابة الدرعية



مشروع مدينة القدية



حديقة الملك سلمان



مجموعة روشن

ومع رؤية السعودية ٢٠٣٠

دخلت البلاد مرحلة أخرى من الحكاية؛ اقتصاد أكثر تنوعًا، ومشروعات كبرى، واستثمارات في التقنية والسياحة والثقافة والرياضة والصناعة، وحضور سعودي متزايد على الطاولة السياسية والاقتصادية الدولية. وبين صورة الرياض التي استعادها الملك عبدالعزيز مطلع القرن العشرين، وصورتها اليوم وهي مدينة تستعد لاستضافة العالم في مناسبات دولية كبرى، مسافة زمنية ليست طويلة في أعمار الدول، لكنها هائلة في حجم التحول. ومع ذلك، يبقى أحد أكثر منجزات الدولة هدوءًا أقلها حاجة إلى الصور: **أن يشعر الإنسان بالأمان داخلها.**

فالدولة ليست مباني الوزارات، ولا الأنظمة، ولا المشروعات وحدها؛ إنها ذلك الإحساس بأن خلف تفاصيل الحياة اليومية كيانًا يحمي الأرض وينظم الحياة ويحمل اسم الجميع. ولهذا، يمثل اليوم الوطني ذكرى تأسيس المعنى السياسي للوطن بقدر ما هو مناسبة للاحتفال بمنجزاته. لكن الدولة مهما بلغت قوتها، تبقى مؤسسات وحدودًا إن غاب عنها العنصر الأكثر حياة "الناس".



الأهل

الوطن الذي يمشي على قدمين

يمكن أن تعرف السعودية من علمها... لكن يمكنك أيضًا أن تعرفها من أهلها. من مجلس تُدار فيه فناجين القهوة، ومن باب يُفتح لضيف، ومن مائدة تختلف أطباقها كلما قطعت بضع مئات من الكيلومترات، ومن لهجة تخبرك أحيانًا عن مدينة صاحبها قبل أن يخبرك باسمه.

هنا يصبح الوطن إنسانًا.

السعودية التي وحدتها الدولة لم تُلغ اختلاف مناطقها، بل حملت ذلك الاختلاف معها. في الحجاز ثقافة صنعتها قرون من استقبال البشر القادمين من جهات الأرض، وفي نجد تفاصيل اجتماعية نسجتها حياة قلب الجزيرة، وفي الجنوب ألوان وأهازيج وعمارة وعادات مختلفة، وفي الشرق ثقافة ارتبطت بالواحات والبحر والتجارة، وفي الشمال تقاليد صنعتها الصحراء وطرق العبور القديمة. حتى الملابس لا تتطابق.... ولا الأكلات.... ولا الأهازيج.... ولا اللهجات.

لكن هذا الاختلاف، حين يأتي اليوم الوطني، يبدو كأن كل تلك التفاصيل كانت تتدرب طوال العام على مشهد واحد "علم واحد فوق بيوت مختلفة" وهذه ربما إحدى أجمل صور الوطن: أن تتعدد الطرق التي نعيش بها السعودية، بينما تبقى السعودية التي ننتمي إليها واحدة.



Abdulrahman Alghaihi

NOB.SA

NOB
MARKETING SOLUTIONS

#اليوم_الوطني_السعودي

والأهل ليسوا صورة فولكلورية للماضي فقط. إنهم أيضًا الذين يصنعون حاضر البلاد كل صباح. الجندي على الحدود، والطبيب في المستشفى، والمعلم أمام طلابه، والمهندس في مشروعه، والمزارع في حقله، والموظف خلف مكتبه، ورائد الأعمال الذي يبدأ فكرته من الصفر، والشاب والشابة اللذان يحملان طموحات ربما لم تكن ممكنة للأجيال التي سبقتهما. هؤلاء لا يظهرون جميعًا في صور اليوم الوطني. لكنهم الوطن في أيامه الأخرى. فالانتماء لا يُقاس فقط بعدد الأعلام المرفوعة في سبتمبر، وإنما بما يفعله الناس لهذه الأرض بقية العام. وإذا كان التراب يمنح الوطن مكانه، والدولة تمنحه كيانه، فإن الناس يمنحونه الشيء الذي لا تستطيع الخرائط والأنظمة منحه: "الروح".

فالبلاد لا تصبح وطنًا لأن حدودها مرسومة جيدًا، بل لأن خلف تلك الحدود أهلًا يتشاركون ذاكرةً ومصيرًا، ويستطيع أحدهم أن ينظر إلى الآخر ويقول: نحن من هنا، لكن كيف يعرف بعضنا بعضًا؟ أحيانًا لا نحتاج أكثر من كلمة.





اللغة الوطن الذي نسافر به

قد يغادر الإنسان مدينته، وقد يتعد آلاف الكيلومترات عن بلاده، لكن شيئاً من الوطن يغادر معه دائماً. "لغته" في مطار بعيد، قد تسمع كلمة سعودية خلفك فتلتفت تلقائياً. لم ترَ المتحدث، ولم تسأله من أين جاء، لكن نبرة صغيرة أو مفردة واحدة كانت كافية لتقليص آلاف الكيلومترات بينك وبين البيت. فاللغة ليست أداة للتخاطب فقط، إنها ذاكرة متنقلة. وعلى امتداد المملكة، صنعت الجغرافيا داخل العربية فسيفساء أخرى من اللهجات والمفردات. هناك كلمات يعرفها أهل الجنوب أكثر، وأخرى تسكن مجالس نجد، ومفردات حجازية وشرقاوية وشمالية، وقد تستطيع الأذن السعودية التقاط المدينة أو المنطقة من نبرة جملة واحدة. وهذه اللهجات لا تقسم الهوية؛ بل تثريها.

أسماء القرى والأودية
والجبال، وأدوات
الأجداد، والأطعمة،
 والملابس، والرياح
والمطر والإبل
والنخيل والبحر.
كل مفردة
منها مستودع
صغير لذاكرة المكان.

فمثلما تختلف
تضاريس الوطن
ويبقى وطنًا واحدًا،
تختلف ألسنة أهله
داخل لغة تجمعهم.
وتحفظ اللغة كذلك
أسماء الأشياء التي
قد تختفي الأشياء
نفسها ويبقى اسمها.



يا لله حيّه

دحين

علومك؟

شفيلك؟

ثم يأتي الشعر..

من القصيدة الفصيحة إلى الشعر النبطي، ومن العرضة السعودية إلى الأهازيج الشعبية والأغنية الوطنية؛ ظل السعودي يحكي علاقته بأرضه بالكلمات. تغيرت الوسيلة...

كان الشعر يُروى في المجالس، ثم جاء الراديو والتلفزيون، واليوم تمر القصيدة والأغنية والعبارة الوطنية عبر هاتف صغير إلى ملايين الناس في ثوانٍ. لكن الوسيلة الجديدة لم تغير الحاجة القديمة:

أن نقول شيئًا عن الوطن.

ولهذا ربما تكون اللغة أغرب عناصر الوطن الأربعة، فالتراب لا يمكن أن نحمله معنا، وحدود الدولة تتوقف عند الخرائط، والأهل قد فصلنا عنهم المسافات؛ لكن اللغة تستطيع أن تعبر الحدود معنا. وحين يبتعد السعودي آلاف الكيلومترات عن بلاده، قد تكفيه كلمة بلهجته كي تعيده إليها.



فاللغة أحيانًا أقصر الطرق إلى الوطن.

وحين تجتمع الأربعة في اليوم الوطني، يمكن النظر إلى السعودية من السماء. سنرى مساحة هائلة تمتد بين بحرين، تتخللها الجبال والصحارى والمدن والقرى. **ذلك التراب.** ويمكن أن ننظر إلى الخريطة، فنرى حدودًا تحيط بتلك المساحة، وعلمًا أخضر واسمًا سياسيًا واحدًا. **تلك الدولة.** ثم الشوارع. سنجد ملايين البشر، مختلفين في ملامح مناطقهم ولهجاتهم وعاداتهم، لكنهم يرفعون العلم ذاته. **هؤلاء الأهل.** ثم نصمت قليلًا. سنسمع العربية؛ بفصاحتها ولهجاتها، في حديث الناس وأغانياتهم وقصائدهم وأهازيجهم. **تلك اللغة.**

ربما لهذا يصعب تعريف الوطن بجملة واحدة. لأنه ليس شيئًا نراه فقط، ولا تاريخًا نقرأه، ولا مكانًا نسكنه. إنه أشياء كثيرة تجتمع داخل الإنسان دون أن يشعر.



تراب يمنحه مكانًا. ودولة تمنحه كيانًا. وأهل يمنحونه روحًا. ولغة تمنحه صوتًا.



يوم الوطن الـ 96

وفي الثالث والعشرين من سبتمبر من كل عام، لا تحتفل السعودية بمجرد مرور سنة أخرى على توحيدها. إنها تستعيد تلك المعادلة القديمة: **أرضٌ** أصبحت دولة، **ودولةٌ** جمعت أهلاً، **وأهلٌ** تحدثوا **بلغّة** واحدة عن شيء أحبوه جميعاً. واختصروا الأشياء الأربعة في كلمة واحدة:

الوطن

